القدس مدينة السلام

لفضيلة

الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم (*)

الإسلام والقدس

لقد سجل القرآن الكريم ، مكانة القدس ، حين وضح أن الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده وحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث قال جل شأنه : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (١) .

وسمى بالمسجد الأقصى ، لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام ، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم بالزيارة (٢) .

والمراد بالبركة المذكورة فى الآية الكريمة، فى قوله تعالى : ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ البركة الحسية والمعنوية ، فأما الحسية فهى ما أنعم الله تعالى به على تلك البقاع من الثمار ، والزروع والأنهار ، وأما المعنوية فهى ما اشتملت عليه من جوانب روحية ودينية ، حيث كانت مهبط الصالحين ، والأنبياء والمرسلين ، ومسرى خاتم النبيين وقد دفن حول المسجد الأقصى كثير من الأنبياء والصالحين .

والمسجد الأقصى : هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » (٣) .

ومعنى هذا الحديث : أنه لا يسافر أحد لمسجد للصلاة فيه إلا لهذه المساجد الثلاثة ، لا أنه لا يسافر أصلاً إلا لها ، وقد بنى المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء فى الحديث الصحيح : عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولاً ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت كم بينهما ؟ قال أربعون سنة، وأينما أدركت الصلاة فصل فهو مسجد (٤).

وللمسجد الأقصى مكانته الجليلة فى الإسلام ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين .

(*) رئيس جامعة الأزهر .

روى الطبرى فى تاريخه ، عن قتادة قال : كانوا يصلون نحو بين المقدس ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكه قبل الهجرة وبعد ما هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً .

ومما يدل على فضل بيت المقدس ومكانته ، أنه أرض المحشر والمنشر . وعن ميمونة مولاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت : قلت : يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس ؟ قال : « أرض المحشر والمنشر » ائتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره » (٥) .

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس » .

وفى مدينة القدس دفن عدد كبير من الصحابة والتابعين ، منهم الصحابى الجليل عبادة بن الصامت وشداد بن أوس ، فهو مهد النبوات والشرائع ، والرسل الذين وجدوا هناك فى هذا العصر ، ولقد كان المسجد الأقصى قبلة لهم ، وهذا كله يمثل البركة الدينية التى أحاطت به ، وأما البركة الدنيوية : فكثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض ، وهذا ما يراد بقوله تعالى : ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ .

وروى أن الذى أسس المسجد الأقصى هو يعقوب بن إسحق - صلى الله عليهما وسلم - بعد بناء إبراهيم الكعبة ، وقد قام سليمان عليه السلام بتجديده ، وقد أشكل ذلك، لأنه بانى البيت الحرام إبراهيم - عليه السلام - وبانى المسجد الأقصى داوود وابنه سليمان بعده ، وبينهما مدة طويلة تزيد على الأربعين التى ذكرت فى الحديث المروى فى الصحيحين عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع على الأرض ؟ فقال المسجد الحرام ، قلت : ثم أى : قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما أدركت الصلاة فصل فيه فإن الفضل فيه » .

وأجاب عن هذا الإشكال أبو جعفر الطحاوى فى شرح معانى الآثار : بأن الوضع غير البناء ، والسؤال فى الحديث السابق عن مدة ما بين وضعهما لا عن مدة ما بين بنائهما فيحتمل أن يكون واضع الأقصى بعض الأنبياء قبل داوود وسليمان ، ثم بنياه بعد ذلك وللمسجد الأقصى ارتباط وثيق بعقيدتنا وله ذكريات عزيزة وغالية على الإسلام والمسلمين، فهو مقر للعبادة ، ومهبط للوحى ومنتهى رحلة الإسراء ، وبداية رحلة المعراج .

وقد مر الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى رحلته إلى المسجد الأقصى بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، وهى طور سيناء فصلى بها ركعتين .

ومر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى عليه السلام ، وهى : «بيت لحم» فصلى بها ركعتين ، ثم وصل إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى جمع الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعاً ، ثم عرج به إلى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى .

ولما عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذه الرحلة المباركة ، وأخبر قومه، كان منهم من صدق ، ومنهم من كذب .

وذهب بعضهم إلى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وأخبروه ، فما كان جوابه إلا أن قال لهم . والله لئن كان قاله لقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك ؟ قال : إنى أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء ، وقد تمادى القوم فى لجاجهم وحوارهم، يسألون الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى تعنت عن بيت المقدس ، ومنه من كان قد رآه ، وظنوا أنهم بهذه الأسئلة سيوقعون الرسول صلى الله عليه وسلم فى حرج . ولكنه وهو المؤيد من قبل ربه - وصف لهم بيت المقدس وصفاً كاملاً فى غاية الدقة ، وأخبرهم عن آياته ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فجعلت أخبرهم عن آياته ، فالتبس على بعض الشيء فجلى الله لى بيت المقدس ثم جعلت أنظر إليه دون دار عقيل ، وأنعته لهم » فقالوا : أما النعت فقد أصاب وكان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - كلما وصف لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاً - يقول : صدقت أشهد أنك رسول الله ثم أخبرهم عن عيرهم ، وعن أحمالها ، وعن دقائق الملابسات ووصفها أكمل وصف ، وقال لهم تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ، وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان محيطتان ، ومع وضوح الأدلة فقد لج القوم فى عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة فقد طمس الله على أبصارهم وبصائرهم ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له نور ﴾ وفى رحلة الإسراء والمعراج فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة ، وهى الصلة القوية بين العبد وربه وكانت القبلة آنذاك هى صخرة بيت المقدس حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باستقبالها وكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة تعذر عليه أن يجمع بينهما ، عندئذ أمره الله تعالى أن يتوجه إلى بيت المقدس واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهراً .

وكان يدعو ربه ويبتهل إليه أن تكون وجهته إلى الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت الحرام ، فخطب الناس وأعلمهم بذلك ، وكان أول صلاة صلاة العصر ، وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾ (٦) .

وعن البراء - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال :

أشهد بالله لقد صليت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان قد مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما تقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ (٧) .

ومما يؤكد عاطفة المسلمين نحو القدس الشريف كواحد من أهم معالم الإسلام أنه قد أسرى الله برسوله - صلى الله عليه وسلم - إليه ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل المسجد الأقصى وصلى فيه ، ففى رواية أنس - رضى الله عنه - : « .. ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن، فاخترت اللبن » فقال جبريل :

« أخذت الفطرة » وقال الإمام النووى رحمه الله : المراد بالفطرة هنا : الإسلام والاستقامة .

وفى رواية ابن مسعود : ... ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل، فقدمنى فصليت بهم .

وفى رواية أبى امامة - عند الطبرانى - ثم أقيمت الصلاة ، فتدافعوا حتى قدموا محمد - صلى الله عليه وسلم .

فصلى إماماً بالأنبياء جميعاً فى المسجد الأقصى ، ولقد اطلع الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى هذه الرحلة المباركة على نماذج لثواب الطائعين ، وعقاب العاصيين ، ومن هذه النماذج ما رآه من ثواب المجاهدين فى سبيل الله : « مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا ؟

قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ [٨] « سبأ : ٣٩ » .

وفى هذا المشهد توضيح لمكانة الجهاد والمجاهدين ، وفى هذا النموذج المحسوس لمثوبة الجهاد ، تجيش فى نفوسنا عواطف الإيمان ، لتدفعنا لتطهير القدس الشريف واسترداده ، وتطهير كل بقعة فى الوطن الإسلامى ، ونجاهد من أجل إعادة الحق إلى أصحابه ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ ، وكما قال سبحانه وتعالى ﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ .

وقد اختارت الإرادة الإلهية أن يكون الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى ، وصلا للحاضر بالماضى ، وتقديراً لمنزلة هذه البقعة المباركة ، التى عاشت عمراً كبيراً تنتشر على ظهرها الهداية ، وتستقبل فى رحابها النبوات ، وظل بيت المقدس مهبط الوحى الإلهى سنين عديدة .

فلما عصى اليهود أمر ربهم ، وتنكروا لوحى السماء ، تحولت النبوة عنهم ، وانتقلت إلى ذرية إسماعيل ، وتحولت بالتالى القيادة الروحية إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، فانتقل الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى هذه البقعة المباركة تقديراً لاخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين ، وإعلاناً عن إكباره لهم وللدين الذى انتشر نوره وسناه فى هذه البقاع المباركة ؟ لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين ، يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، كما قال سبحانه : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ [٩] .

ولقد جمع الله تعالى له الرسل السابقين ، فاستقبلوه ، وصلى بهم إماماً وطبق الله فى ليلة الإسراء والمعراج وفى رحاب المسجد الأقصى ذلك العهد والميثاق الذى أبرمه منذ القدم مع الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً ويعهد بعضهم لبعض ، وأن يؤمنوا بمن سيرسله وأن ينصروه ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ .

وهكذا كانت إمامة الرسول صلى الله عليه وسلم للأنبياء والمرسلين فى هذا المكان المقدس إعلاناً لختم رسالات السماء وأن رسالته خاتمة الرسالات ، ودستوره السماوى وهو القرآن كلمة السماء الأخيرة ، وأنه صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنبياء لا ينافيها كون الأنبياء كانوا قد ماتوا من قبل ، لأن الذى أسرى هو الله الخالق القادر على كل شيء فهو القادر على تغيير بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ليصلى بالأنبياء ، وهو القادر على تغيير قانون بقية الأنبياء السابقين ليصلى بهم ... فما أراده الله تعالى حدث ، وبالكيفية التى أرادها رب العزة سبحانه وتعالى .

وفى هذا إعلان لعالمية الإسلام ، وإعلان بأنه التشريع الخاتم والرسول الذى ختم الله به الأنبياء والمرسلين .

وإن حادث الإسراء والمعراج ليضع فى أعناق المسلمين فى كل الأرض أمانة القدس الشريف ، وأن التفريط فيه تفريط فى دين الله وسيسأل الله تعالى المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا فى حقها أو تقاعسوا عن نصرتها وإعادتها .

فعلينا أن نوحد جهودنا ، وألا نتفرق ، لنكون بوحدتنا ، قوة إسلامية لا يستهان بها ، ولا تضعف فى المطالبة بحقوقها فطريق الوحدة ومناشدة القوة ، هو طريق الحفاظ على مقدساتنا التى هى جزء من عقيدتنا وديننا .

إن القدس مسرى خاتم الأنبياء ، وبوابة الأرض إلى السماء ، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ولكم تعرض إلى العدوان والتخريب ، فلماذا ؟ وهو الموطن الإسلامى ، ولولا الصفة الإسلامية للقدس وفلسطين ما كانت لتعانى كل هذه المعاناة ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله .. ﴾ .

ألا إنها مسلمة تحتل وتكثر المستوطنات اليهودية بها يوماً بعد يوم ؟!.

ألا إن شعبها مسلم يضطهد ويشرد ويتعرض للإبادة والتفكيك ؟! هل أصبحت هذه سمة البلاد والشعوب الذين يتعرضون لتهاون النظام العالمى ؟!.

فنرى أمثال هذه المعانة فى البوسنة والهرسك والشيشان .

أقول : إن الجهاد « فرض عين » فى الدفاع عن القدس ، كما أنه « فرض عين » فى الدفاع عن البوسنة والهرسك والشيشان ، وكل وطن إسلامى على ظهر الأرض .

وفرضية الجهاد للدفاع عن الأوطان ليست مقصورة على ساكنى هذه الأوطان المسلوبة أو المنهوبة فحسب ، بل إن فرضية الجهاد على جميع المسلمين فى كل الأرض ، ومن هنا فإن كل جهاد والحكم الشرعى الذى قرره الفقه الإسلامى أن أعداء الإسلام إذا دخلوا بلداً يقيم فيه المسلمون فيجب الخروج لقتالهم ولا يجوز لأحد أن يتخلى عن هذا الواجب ، قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ [١٠] وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » [١١] .

فإذا نادى الواجب المسلمين ، لتحرير أوطانهم ورفع العدوان عنها ، واسترداد الحق ، فإنه يجب عليهم أن يخفوا لتلبية هذا النداء وألا يتثاقلوا ، قال الله سبحانه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ﴾ [١٢] .

وفى سبيل إقرار الحياة الآمنة المستقرة ، ونشر الإسلام فى ربوع الأمة يجب علينا ألا نتفرق وألا نختلف ، بل نتوحد فلا نتنازع ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ وأن نتجمع ولا نتفرق ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل ...

التوصيات

لقد تكررت المآسى فى القدس الشريف من جراء انتهاك السلطات الإسرائيلية لحقوق هذه المدينة وحقوق الفلسطينيين ، حيث تعددت المجازر البشرية ، والاستمرار فى زيادة المستوطنات اليهودية ، كما تعرضت إلى حوادث الإحراق والعدوان على الأنفس والأموال ، واستهانت إسرائيل بالشرائع المسماوية ، والمقدسات الدينية والحقوق الإنسانية ، وكانت لها ممارسات إرهابية فى المنطقة ، باشرت من خلالها كل وسائل العدوان والعربدة !!!

ولما كانت القدس لها منزلتها الأثيرة فى قلوب المسلمين والمسيحين والعرب جميعاً فهى مسرى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وعاش فيها المسيح عليه السلام .

ولما كان السلام الشامل والدائم فى المنطقة رهناً بالتسوية العادلة والكاملة ، واسترداد الحق لأهله ولما كانت القدس البلد الوحيد الذى عانى الأمرين وكان الشعب الفلسطينى أكبر من تحمل فى سبيل الدفاع عن وطنه من معاناة وقتل وتشريد وضياع فإنى أوصى بالتوصيات التالية :

١ - تأكيد الدعوة إلى استمرار صمود المجاهدين من أبناء فلسطين ، دفاعاً عن الحق والشرعية ، ووقوف الدول العربية والإسلامية مع هذا الشعب المظلوم استرداداً لحقه ، وانتصاراً للشرعية والحق .

٢ - الدعوة إلى توحيد القوى العربية والإسلامية والإنسانية عامة المحبة للسلام الواقفة بجانب العدل والحق ، فلا يضيع الحق إلا بضعف أهله ، ولا قوة لنا إلا فى وحدتنا ، استجابة لقول الله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ .

٣ - تحريك الرأى العام الدولى بإظهار الحق ومناشدة الضمير الإنسانى فى كل الأرض لمناصرة الحق ومناهضة الباطل والظلم .

٤ - مطالبة النظام العالمى بإيقاف الهجرة اليهودية وإيقاف المستوطنات ، واسترداد الحق لأهله حتى يسود السلام الدائم والشامل .

٥ - تضميد الجراح العربية والإسلامية بين الأشقاء العرب والمسلمين حتى تتم وحدة الصف والهدف ، وتقوى الأمة فى مواجهة التحديات .

٦ - مطالبة النظام العالمى ومجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى بتحقيق القرارات التى سبق أن أبرمت مطالبة بحقوق القدس وفلسطين والشعب الفلسطينى .

٧ - دعوة الأمة أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً بتوثيق الصلة مع الله ، وتأكيد وتطبيق التعاليم الإسلامية التى فيها انتصار لدين الله مما يترتب عليه انتصارنا مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ وقوله : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ .

٨ - تشكيل لجنة دولية تمثل أهم الشخصيات الدولية الذين يمكن أن يتابعوا توصيات هذه الندوة ، حتى تأخذ طريقها إلى العمل الجاد ، ولا تبقى كغيرها من الندوات حبراً على ورق .

وبالله التوفيق ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه آمين ..

الهوامش

١ – سورة الإسراء : الآية رقم ١ .
٢ – تفسير القرطبى ج ١ ص ٢١٢ .
٣ – رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة .
٤ – رواه مسلم .
٥ – رواه ابن ماجه .
٦ – سورة البقرة : الآية ١٤٤ .
٧ – سورة البقرة : الآية ١٤٣ .
٨ – رواه الطبرى والبزاز .
٩ – سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .
١٠ – سورة التوبة : الآية ١٢٣ .
١١ – رواه البخارى .
١٢ – سورة التوبة : الآية ٣٨ .

obeikandl.com